

الأسماء الثلاثة للإله، الرب، والعبادة

(38) ليست العبادة نفس الخضوع أو نهايته إنَّ الخضوع و التذلل حتى إظهار نهاية التذلل لا يساوي العبادة ولا يعدُّ حدًّا منطقيًّا لها، بشهادة أنَّ خضوع الولد أمام والده، و التلميذ أمام أستاذه، و الجندي أمام قائده، ليس عبادة لهم و إن بالغوا في الخضوع و التذلل حتى و لو قبَّل الولد قدم الوالدين، لا يعد عمله عبادة، لأنَّ الله سبحانه يقول: "وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّبُلِ مِنَ الرَّحْمَةِ" (الإسراء|24). و أوضح دليل على أنَّ الخضوع المطلق و إن بلغ النهاية لا يعدُّ عبادة هو أنَّه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم وقال: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ" (البقرة|34) و آدم كان مسجوداً له ككونه سبحانه مسجوداً له، مع أنَّه لا يمكن عبادة و إلا لم يأمر به سبحانه، إذ كيف يأمر بعبادة غيره و في الوقت نفسه ينهى عنها بتاتا في جميع الشرائع من لدن آدم (عليه السلام) إلى الخاتم صلَّى الله عليه و آله و سلَّم لكن الثاني أي الخضوع لله، عبادة . و الله سبحانه يصرِّح في أكثر من آية بأنَّ الدعوة إلى عبادة الله سبحانه و النهي عن عبادة غيره، كانت أصلاً مشتركة بين جميع الأنبياء، قال سبحانه: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اءِذُّوا بِاللَّهِ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" (النحل|36) و قال سبحانه: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْزَاهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون" (الأنبياء|25) و في موضع آخر من الكتاب يعد سبحانه التوحيد في العبادة: الأصل المشترك بين جميع الشرائع السماوية، إذ يقول: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ - وَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" (آل عمران|64)، و معه كيف يأمر بسجود الملائكة لآدم الذي هو من مصاديق الخضوع النهائي؟ وهذا الإشكال لا يندفع إلا بنفي كون مطلق الخضوع عبادة، ببيان أنَّ للعبادة مقوماً آخر - كما سيوافيك - لم يمكن موجوداً في سجود الملائكة لآدم.